مقدمة

هذا الكتاب محاولة لفهم الشـيعة والسنة وما بينهما من اتفاق واختلاف، لأنى أعتقد أن جهل كل فرقة بحقيقة الأخرى كان من أهم أسباب الجفوة والتباعد، وقديما قيل (الناس أعداء ما جهلوا).

ليس هدفى من هذا الكتاب الدعوة إلى تحويل الشـيعة إلى سنة، أوتحويل أهل السـنة إلى شـيعة، أو توحيد الفرقتين فـى فرقة واحدة، فهذه مسـألة عملت فيها عوامل السياسة والمصالح والتاريخ عملها، وتعمقت مع الزمن، ولم يعد أمامنا سوى التعامل مع الحقيقة وهى أن أهل السنة والشيعة جميعا مسلمون، يتفقون فى أصول الدين، ويؤمنون بالله ربا، وبالإسـلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، ولايختلفون على شـئ من أركان الإسلام الخمسـة، والاختلافات الفقهية بين الفريقين لاتخرج عن الفروع مما يجوز فيه الاختلاف.

والاختلافات الأساسية بين السنة والشيعة تنحصر فى أمرين أساسيين:

الاختلاف الأول : قول الشـيعة إن الإمامة ركن من أركان الإسـلام وضرورة ملازمـة له، وإن الإمامة فى كل العصور وإلى نهاية العالم لابد أن تكون فى أبناء الإمام على بن أبى طالب والسـيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم. وإن منزلة الإمام كمنزلة الأنبياء، فهذه النظرية تتعارض مع عقيدة أهل السـنة الذين يرون أن حكم المسـلمين ليس فرضا مفروضا فى سلالة بعينها، وأن منزلة الرسول محمد ﷺ لايماثله فيها غيره، وأن حب آل البيت يملأ قلوب جميع المسـلمين سنة.وشيعة، وهذا لايعنى أن يقصروا

الولايــة والحكم عليهــم أبد الدهر وإلى يوم الديــن.. والعصر الحاضر مختلف عن عصر الاختلاف على الحكم فى صدر الإسلام أو فى عصر الدولة الأموية أوالعباسية.. نحن الآن فى عصر حرية الشــعوب فــى اختيار حكامها.. عصــر الديمقراطية، وعن طريق صندوق الانتخابات وحده يتم اختيار الحاكم وله ســلطة سياســية وليســت سلطة دينية. ولقد كان الإمام مالك عظيما عندما قال: هم رجال، ونحن رجال، وكلهم يُرَدُّ عليه إلا صاحب القبرهذا، وأشــار إلى قبرالرسول ﷺ، فليس لأحد من البشر عصمة بعد الرسول ﷺ، ولآل البيت الحب والمنزلة الرفيعة، وهم فى النهاية بشر، يسرى عليهم مايسرى على البشر.

الاختلاف الثانى: هو زواج المتعة، وإن كان لدى الشيعة أسانيد يرددونها تفيد بأن الرســول ﷺ أباحه ولم يمنعه، فإن لدى أهل السنة أسانيد قوية تؤكد تحريم هذا الزواج، وتجعل شرط صحة الزواج أن يكون بنية التأبيد، أى عقد النية على استمراره مدى الحياة ما لم يَجِدَّ ســببٌ للانفصال. فالشيعة يقولون بسريان أحكام الايجار على زواج المتعــة وأهل الســنة لايقبلون ذلك ويربئــون بالمرأة أن تخضــع لأحكام الإيجار وبرابطة الزواج أن تكون لقضاء حاجة.

وفيما عدا ذلك فإن الأفكار الشاذة والغريبة التى تنسب إلى الشيعة والموجودة فى الكتب القديمة مثل كتاب «الملل والنحل» للشهرستانى، والتى يرددها البعض حتى اليوم، ليست للشيعة الإمامية والزيدية ولكنها أفكار فرق ضالة كانت موجودة فــى زمن مضى، ولم يعد لها وجود فى هذا العصر. أما فرق الشــيعة التى نتحدث عنها فهم أتباع مذهب الإمامية الجعفرية الاثنى عشرية، ومذهب الزيدية، والاختلاف بينهما وبين أهل السنة ليس جوهريا سواء فى العقيدة أوالفقه، وسواء فى العبادات أو المعاملات. مع ملاحظة أن الشــيعة الزيدية لايشــترطون الإمامة من أهل البيت ولايقرون زواج المتعة.

ليس هدفى الدعوة إلى الغاء المذاهب، أو توحيد المذاهب، ولكن هدفى أن يسود الفهم والتفاهم، والقبول بالاختلاف بين أهل المذاهب الإسلامية، مادام الاتفاق بينها على أصول الدين كاملا.

ومن قراءة التاريخ نكتشف أن الشيعة فى الأساس لم تنشأ مذهبا دينيا له فقه مستقل، ولكن النشأة كانت لأسباب سياسية. والاختلاف كان حول من الأحق بالحكم بعد وفاة الرسول ﷺ، الإمام علىّ وبعده الإمام الحسين ثم أهل البيت، أوالخلفاء أبوبكر وعمر وعثمان، مع ملاحظة أن الإمام عليًا أعطى البيعة للثلاثة وكان لهم ناصحا ومعينا. وهذا يتكرر فى التاريخ كثيرا، أن يكون الأتباع أكثر تعصبا من صاحب القضية نفسه. ومع ذلك فإن الأمر كله انتهى مع الزمن، فلم يعد الإمام علىّ كرم الله وجهه موجودا لكى نرد إليه حقه فى الخلافة حتى وإن كان النبى ﷺ قد نص على حقه فيها. ولم يعد أمامنا إلا أن نترك الأمر لله يحكم فيما كانوا فيه يختلفون. كذلك فإن أهل السنة اليوم ليسوا أتباع أبى بكر وعمر وعثمان أو معاوية ولم يبايعوا أحدا منهم. نحن أمام شعوب مختلفة، ولم تعد قضايا القرون الماضية هى قضايا اليوم، ولاينبغى أن يقف التاريخ الإسلامى عند واقعة واحدة لايتجاوزها.

هذا ما يدعو إلى حوار بين أهل السنة والشيعة ليس بقصد التوحيد، ولكن بقصد التفاهم والتعايش، لأن الجميع يستظلون بمظلة واحدة هى الإسلام، ويكفى الإسلام ما يتعرض له من حملات التشويه والعدوان مما يفرض على عقلاء الأمة السعى إلى التقارب على الأقل، إن لم يكن التوحد ممكنا.

ولقد حاولت أن أعرض بحياد وموضوعية نظرية الشيعة، بقدر ما أتيح لى من مراجع، ولا أدعى أن عملى هذا بلغ الكمال، وربما أعود فى طبعة قادمة إلى مراجعة ما كتبت بالإضافة أوالتعديل فى ضوء ما قد يتاح لى من مصادر ومراجع جديدة، وفى ضوء لقاءاتى وحواراتى المستمرة مع الأصدقاء فى كل المذاهب.

وســيلاحظ القارئ بعض التكرار فى مواضع رأيت أن التكرار فيها ضرورى حتــى لايختل ســياق الموضوع ولا أضطــر إلى احالة القارئ إلى صفحات ســابقة، وأرجو أن يكون التكرار فى الحدود اللازمة وألا يضيق به القارئ.

وقــد يلاحظ القــارئ أيضًا أن هناك اختلافات داخل مذهب الشــيعة الإمامية أيضــا، وأرى أن ذلك دليل علــى أن الفكر داخل هذا المذهب ليــس فكرًا واحدًا، وأن فيه اجتهادات مختلفة وتعددية، وفيه أيضا مراجعته من بعض علمائه تتضمن تراجعا عن بعض الأفكار التقليدية القديمة، وهذا ما يمكن اعتباره تجديدًا فى المذهب الشيعى يقربه أكثر من مذاهب أهل السنة.

كما ســيلاحظ القارئ أنى دعوت إلى حوار بين أهل الســنة والشيعة، لأننا فى عصــر الحوار، وهناك حوار بــين الأديان يجرى فى أنحاء مختلفة من العالم، فكيف لايكــون هناك حوار بين أبنــاء الدين الواحد، ومع افــتراض أن بعض الاختلافات لايمكــن تجاوزها أو القضاء عليها فهذا أيضًــا لايمنع الحوار. والاختلافات بين اتباع الدين الواحد ليســت مقصورة على المسلمين وحدهم، ونحن نشهد الخلافات بين الكاثوليك والبروتســتانت والارثوذكس وهم جميعــا أتباع دين واحد، وبينهم حوار ويضمهم كيان واحد هو مجلس الكنائس العالمى ومجلس كنائس الشرق الأوسط.

الحوار وليس الجفاء، هذه هى الرســالة التى أردت أن تصل إلى المسلمين من خلال هذا الكتاب.

وأدعو الله تعالى أن يساعدنا على تصفية القلوب والضمائر، والعمل بما يرضاه وليس بما يرضينا، والسعى إلى التقريب وليس التباعد، تنفيذا لأمره تعالى:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ سورة المؤمنون الآية ٢٥.

وبالله التوفيق..

رجب البنا